سومر

الجزء الاول والثاني ـ المجلد السادس والاربعون

قبة الصخرة

اثر اسلامي شوهه غزو الافرنج

د . غازي رجب

كلية الآداب / جامعة بغداد

عندما نتكلم عن العمارة العربية الاسلامية، فقبة الصخرة التي انشئت تكريما وتخليداً للصخرة المشرفة، افضل مثل عليها، لما فيها من بساطة التخطيط، وجمال الزخرفة والهندسة والذوق العربي، فهي في ظاهرها نصب تذكاري، وفي حقيقتها مصلى ومسجد، فهي اقدم نماذج القباب في العصر الاسلامي، واجمل الاثار التي خلفها لنا التاريخ. ويجمع المتخصصون على انها اقدم اثر اسلامي يتحدى الزمن، ويحتفظ بتخطيطه وجمال زخارفه الاصلية حتى الوقت الحاضر.

١ ـ قبة الصخرة والمسجد الاقصى وبعض الابنية في الحرم الشريف
(السياحة الاردنية)

ولنا في بعض ما سجله القدامى والمحدثون، خير شاهد على بروز هذا الاثر، وتؤكد ما وصل اليه اسلافنا في فن العمارة، وحسن التنسيق والتزويق، فقال المقدسي: «لم ار في الاسلام ولا سمعت في الشرك مثل هذه القبة»[1]. وكتب ابن بطوطة: «من اعجب المباني واتقنها واغربها شكلاً، قد توفر حظها من المحاسن واخذت من كل بديعة بطرف»[2] ويستمر في وصفها «وفي ظاهرها وباطنها من انواع الزواقة ورائق الصنعة، ما يعجز الواصف، واكثر ذلك مغشى بالذهب، فهي تتلالأ نوراً وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها»[3] كما وصفها ابن كثير فقال: «ولم يكن على وجه الارض بناء احسن ولا ابهى من قبة الصخرة ببيت المقدس»[4] ويشير الخياري الى انها «قبة تأخذ بالابصار وتفضي لرائيها بالاعتبار»[5]. ووصفها غوستاف لوبون بانها «اعظم بناء يستوقف النظر في فلسطين»[6] كما اشار اليها البرغوتي بانها «اعظم اثار بنى امية في فلسطين، ومن مفاخر العرب وشهود حضارتهم، ونعم الاثر، فان هندسته ونقوشه وجمال تكوينه، تفوق اجمل الابنية الشهيرة في الشرق الادنى»[7].

ونظراً لما لهذا البناء من اهمية في تأريخ العمارة العربية الاسلامية، فقد اثرنا دراسته وبيان مكانته واهميته في هذا المجال.

الحرم الشريف.

تقع قبة الصخرة في منطقة الحرم الشريف ببيت المقدس، والتي يقع فيها ايضا بناء المسجد الاقصى، وكل القباب الصغيرة والمصليات والاروقة والمدارس التي انشئت في فترات وفي مناسبات مختلفة. ويشير كثير من المؤرخين والرحالة والجغرافيين العرب، الى منطقة الحرم الشريف كلها بأسم «المسجد الاقصى» او «المسجد»[8]. وتبلغ مساحة الحرم الشريف نحواً من ١٤٠٬٦٠٠م٢ وهي سدس مساحة القدس القديمة المحاطة بالسور[9].

وكان يطلق على هذا الموضع قديما، اسم «تل موريا» الذي بنى عليه في القرن العاشر ق. م هيكل سليمان، الوارد ذكره في سفر التكوين من الكتاب القديم[10]. وقد خرب هذا الهيكل في العصور التالية[11] الى ان بنى هيرود الادومي حاكم القدس (٣٧ ـ ٤ ق.م) هيكلاً ضخما مكانه[12]. وقد اشارت Kenyon الى عدم بقاء اي اثر لهيكل سليمان في هذا الموضع، وان هيكل هيرود كان من الضخامة بحيث اصبح التفتيش عنه عديم الجدوى[13]. وقام الرومان بقيادة تيطس بتدمير القدس تدميرا كاملاً[14]، وكذلك عمل هادريان في سنة ١٣٥م على ازالة كل ما تبقى من شواخص لليهود في القدس، وقضى على كل اسم لهم فيها[15].

ورغم بناء المسيحيين كنائسهم في هذه المدينة، إلا ان منطقة الحرم بقيت مهجورة منذ القرن الخامس الميلادي، لا ترى فيها غير الانقاض[16] وان الارض التي شيد عليها العرب مسجدهم عند التحرير، كانت خالية تماما من الأبنية، وهو ما يدحض دعوى «الاسرائيليين» القائلة: بان العرب خربوا هيكل سليمان، وان جزءا من سور الحرم الشريف الحالي (حائط البراق).

قد بنى في ذلك الوقت [17]، اذ لم يجد العرب في منطقة الحرم مباني قديمة ليهدموها[18] عندما استسلمت المدينة للخليفة عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٧هـ/٦٣٨م[19].

وقد جاء في وثيقة الامان المعروفة بـ «العهدة العمرية» التي

---

١ . احسن التقاسيم ص ١٧٠.
٢ . رحلة جـ١ ص٣٣
٣ . نفس المصدر ص٣٣.
٤ . البداية والنهاية جـ٨ ص٢٨٠.
٥ . تحفة الادباء جـ٢ ص١٧٦.
٦ . حضارة العرب ص١٥٦.
٧ . تاريخ فلسطين ص١٢٦.
٨ . المقدسي: احسن التقاسيم ص١٦٨، محمد: المسجد الاقصى ص١٣٣ ـ ١٣٤.
٩ . حيّ: تاريخ سوريا ج٢ ص١٣١، دائرة السياحة الاردنية: الاردن: حقائق ص٢٦.
Duncan, The Noble Sanctuary, PP. 4-5.

١٠ ـ يعتقد السامريون ان الهيكل بني فوق جبل في ظاهر نابلس. عبد العزيز: دراسات ص٣٦.
11. Kenyon, Jerusalem, pp. 55,56,105,105.
12. Randall, Jordan p.106.
13. OP. cit. pp. 139 ff.
14. Randall op. cit. p. 107; Kenyon, Op. cit.pp. 165, 187
15. Randall, Op. cit. 1p.191; Kenyon, Op. cit. p. 187;
نجم واخرون كنوز القدس ص١٣١ وانظر ص٢٩.
16. Cveswell, E.M.A.I,P.31.
١٧ . كنوز القدس ص٢٩ ـ ٣٠.
18.Creswell, Op. cit. I,PP.30,32.
١٩ . اختلفت الروايات حول تأريخ استسلام مدينة القدس انظر محمد: المسجد الاقصى ص١٣٧، ابن الجوزي: فضائل القدس ص١٢٢ ـ ١٢٤؛ اليعقوبي تاريخ ج٢ ص١٤٧ . جاسر: «الفتح العمري للقدس» ص١٨٨.

قدمها هذا الخليفة الى بطريق بيت المقدس، والتي قال فيها الدكتور عباس محمود العقاد «وليس لذي عهد من ظافر ان يطمع في امان اكرم من هذا الامان» ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لاهل بيت المقدس، انكم آمنون على دمائكم واموالكم وكنائسكم، لا تسكن ولا تخرب إلا ان تحدثوا حدثا عاما. واشهد شهوداً»[٢٠].

وعند دخول الخليفة عمر (رض) بيت المقدس، قصد منطقة الحرم المهجورة حيث كانت الصخرة تحت كومة من الانقاض والنفايات والى جانبها بنى مسجداً الى الجنوب الغربي من الصخرة المشرفة.

وسقفه من الخشب يتسع لثلاثة الاف من المصلين اندثر مع الزمن[٢١]. وقد اطلق اسم «مسجد عمر» على بناء المسجد الاقصى الحالي، لان به بقية من الجامع الذي بناه عمر حين التحرير كما اطلق اسم «مسجد عمر» خطأً في بعض الاحيان على قبة الصخرة نفسها[٢٢].

بناء مسجد الصخرة:

ان اول من فكر باقامة بناء عند الصخرة المشرفة، هو الخليفة عمر بن الخطاب (رض)[٢٣] وان هذا البناء بقي بسيطا الى ان فكر الامويون ببناء مناسب، يصون الصخرة ويحميها، ويليق بمكانة الدولة انذاك. فقرر الخليفة عبد الملك بن مروان بناء قبة فوق صخرة بيت المقدس، وكتب الى الامصار يستشيرها، ويطلب النصح حول تنفيذ هذا العمل، فوافقوه وباركوا الفكرة[٢٤] فهيأ لهذه العمارة «مالاً كثيراً يقال انه خراج مصر سبع سنين»[٢٥].

«ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع، فصنعوا له وهو بيت المقدس القبة الصغيرة، التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة[٢٦]، فاعجبه تكوينها وامر ببنائها كهيئتها»[٢٧] وقبة السلسلة من خشب مغطاة بالواح الرصاص، ومحمولة على اعمدة واكتاف اختلفت الروايات في تحديد عددها[٢٨]، ومفتوحة من جميع الجهات عدا الجهة القبلية التي يقوم فيها المحراب[٢٩].

والشكل الحالي لقبة السلسلة سداسي، ولذلك فانه لا يمكن ان يكون نموذجا لقبة الصخرة المثمنة، وربما جرى بعض التغيير على شكلها الاصلي الذي كانت عليه زمن عبد الملك، فقد غير فيها الصليبيون وسموها كنيسة «القديس جيمس الشهيد»[٣٠] وجددها وزخرفها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م[٣١] كما زخرفت بالقاشاني زمن السلطان العثماني سليمان القانوني[٣٢]. (٩٦٠هـ/١٥٥٢م).

وشارك في بناء قبة الصخرة، صناع من اطراف البلاد تحت اشراف رجاء بن حياة الكندي، احد علماء الاسلام من بيسان وضم اليه رجلاً يدعى يزيد بن سلام وولديه من اهل بيت

---

٢٠. وردت «العهدة العمرية» بعدة صيغ، إلا ان اقربها الى اسلوب ذلك العصر هو هذا النص الذي نقلناه عن اليعقوبي: تاريخ (بيروت ١٩٦٠) جـ٢ ص١٤٧ الواقدي: فتوح الشام جـ ص٢٤٢.

٢١. الطبري: تاريخ I.5 ص٢٥٨٤، Arculfus, the piligrimage, pp.4ff. وانظر كنوز القدس ص٣٠

22. Le Strange, palestine, p.20; Rivoina, pp.12.14 Briggs, Muhammadan Architecture, p.32.

٢٣. مجير الدين: الانس الجليل ج١ ص٢٥٦.

٢٤. مجير الدين: نفس المصدر ج١ ص٢٧٢.

٢٥. نفس المصدر السابق ج١ ص٢٧٢.

٢٦. سميت بهذا الاسم لأنه يقال بانها بنيت في موضع السلسلة التي يقال ان سليمان بن داود كان قد وضع سلسلة معلقة من السماء الى الارض ينالها صاحب الحق ولا ينالها المبطل وانها اختفت بسبب حيلة نفذها احد اليهود ابن الفقيه: مختصر كتاب انبلدان ص١٠١، العمري: مسالك الابصار ج١ص١٤٨، ناصر خسرو: سفرنامه ٦٧ ـ ٦٨؛ الظاهري: زبدة كشف الممالك ص٢١.

٢٧. مجير الدين: نفس المصدر ج١ ص٢٧٣؛ العارف: تاريخ القدس ص٢٩٣.

Duncan, the Noble Sanctury, P.72.

٢٨. ابن الفقيه: نفس المصدر ص١٠١، سفرنامة ص٦٧ ـ ٦٨, Le stuavge, pp. 121, 152.

٢٩. العمري: نفس المصدر ج١ ص١٤٧ ـ ١٤٨، سفرناقد ص٦٧ ـ ٦٨.

30. Duncan Op.cit. 1p.52.

٣١. ابن كثير: البداية ج١٣ ص٢٧٥؛ مجير الدين: الانس ج١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

Le Strange, Op.cit. pp152–153; Rogers, the Spread of slam p. 124.

٣٢. العارف: نفس المصادر ص٢٩٠ ـ ٢٩٣؛ كنوز القدس ص٧٣.

Rogevs, Op. cit. 1P. 124.

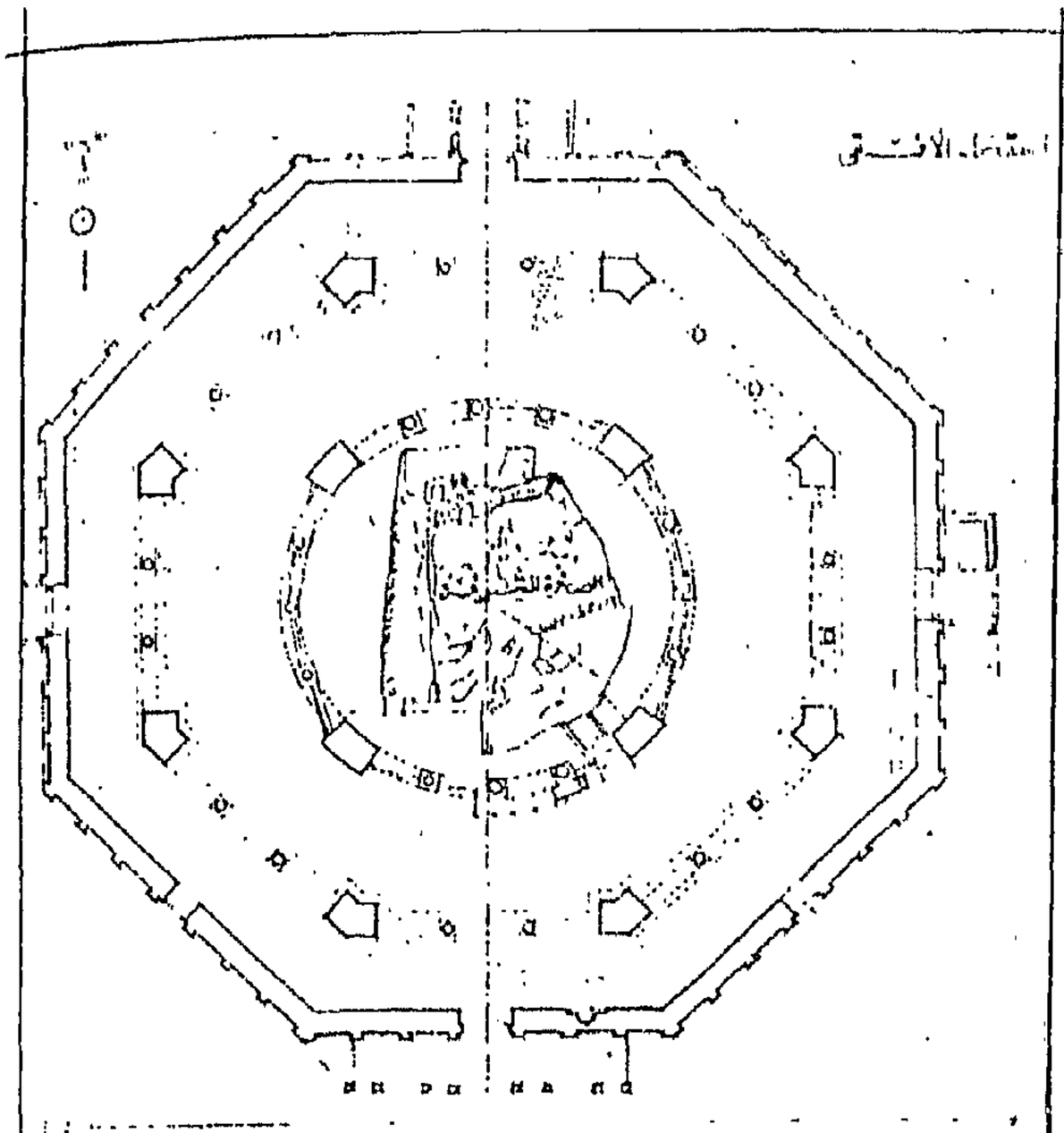

٢ ـ مسقط أفقي لقبة الصخرة

المقدس[٣٣] وامر «بالنفقة وان يفرغا المال عليها افراغا دون ان ينفقاه انفاقا»[٣٤] ويروى انه بعد اكمال البناء اراد عبد الملك ان يكرم المشرفين بما بقى من المال المخصص للبناء، ومقداره مائة الف دينار فابيا قبوله واضافه ذهبا فوق القبة[٣٥].

بدىء ببناء هذه القبة مع المسجد الاقصى سنة ٦٦هـ /٦٨٥م[٤٠] واكمل البناء سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م اذ نجد النص «بنى هذه القبة عبدالله الامام المأمون امير المؤمنين في سنة ٧٢هـ» مثبت بالخط الكوفي المنفذ بالفسيفساء المذهبة على ارضية زرقاء اسفل السقف، فوق التثمينة الوسطى في النهاية الشرقية للواجهة الجنوبية من الداخل[٤١].

ويظهر انه قد جرى على هذه الكتابة التذكارية بعض التغيير في زمن الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/٨١٣ ـ ٨٣٣م) الذي اجرى عدة اصلاحات على هذه القبة، وازيل اسم عبد الملك من الكتابة، ووضع اسم المأمون بدلاً منه وفات على المرمم ان يغير التاريخ (٧٢هـ) بعد ان غير الاسم، اذ يقع هذا التاريخ في حكم عبد الملك ويتفق مع ما روته كل المراجع التاريخية من ان الباني هو عبد الملك بن مروان، كما يلاحظ ان لون الارضية الفسيفسائية في الجزء المرمم يختلف عن لون ارضية باقي الكتابة، وان اسم والقاب المأمون كثيرة الحروف بالنسبة للمساحة التي كتبت فيها، ولذلك جاءت الكلمات مضغوطة في هذا الجزء من الكتابة.

المسطبة والمراقي:

اقيمت قبة الصخرة فوق مسطبة في وسط الحرم الشريف، يصعد اليها من عدة مواضع بدرج، وهي مستوية بلطت بالواح الرخام وكذلك جوانبها[٤٢] وكان يحيط بها من اعلاها درابزين من الرخام الاخضر المنقط[٤٣]. وعلى هذه المسطبة عدة قباب، اهمها قبة الصخرة وقبة السلسلة[٤٤].

ولا يمكن الصعود الى المسطبة، الا من خلال السلالم المخصصة لهذا الغرض، والتي كان عددها اربعا في زمن عبد الملك يتفق وعدد الابواب المفتوحة في جدران القبة نفسها[٤٥] ثم زاد عدد السلالم بعد ذلك، فكانت ستا في زمن ابن الفقيه (٢٩١هـ ـ ٩٠٣م) وناصر خسرو (٤٤٤هـ ـ ١٠٥٢م)[٤٦] وثمانية في الوقت الحاضر(م ٤٧) وتنتهي هذه المراقي عند المسطبة ببوائك من اعمدة رخامية واكتاف تحمل فوقها عقود يعلو بعضها شرافات[٤٨] كما نجد عند بعض هذه المراقي فوق المسطبة منابر ومحاريب اقيمت في مناسبات خاصة[٤٩].

---

٣٣. مجير الدين: نفس المصدر ج١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣؛ ابن كثير: البداية ج٨ ص٢٨٠. زايد: القدس الخالدة ص١٩٣.
٣٤. مجير الدين: الانس ج١ ص٢٧٣.
٣٥. مجير الدين: المصدر السابق ج١ص٢٧٣؛ ابن كثير: البداية ج١ ص٢٨١.
٤٠. محمد: المسجد الاقصى ص ١٣٨ ـ ١٣٩، بشير مجير الدين الى ان الابتداء كان في سنة ٦٦هـ ج١ ص٢٧٢، بينما يشير اخرون الى تواريخ اخرى انظر.
Cueswell, Op. cit. I,pp. 72-73.
٤١. العارف: تاريخ القدس ص٣٨٨؛ زايد: القدس ص١٩٤.
٤٢. العمري: مسالك ج١ ص ١٤٤؛ العارف: نفس المصدر ٢٩٣.
٤٣. سفرنامة ص٦٩.
٤٤. المقدسي ص١٦٩، سفر نامة ص٦٨؛ كنوز القدس ص١١٢، ٢٦٤، ٣٥١، ٣٦٩؛ العارف: نفس المصدر ٢٩٣ ـ ٢٩٤.
Duncan Op.cit. PP.72, 74.
٤٥. المقدسي ص١٦٩.
٤٦. البلدان ص١٠٠، سفرنامة ٦٨، Le Strange, PP.120, 157-158.
٤٧. كنوز القدس ص ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٢ ـ ٢٠٣، ٢٩٣.
Rogers, Op. cit. IP. 125.
٤٨. نفس المصدر السابق، العمري ج١ص١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.
٤٩. العابدي: الاثار الاسلامية ص٩٧.

الجدران الخارجية :

وبناء مسجد الصخرة مثمن الشكل، طول كل من اضلاعه الثمانية ٦ر٢٠م وارتفاعه مع الستارة حوالي ١٢م وفي القسم العلوي من كل جدار خمس نوافذ لادخال الضياء، مع نافذة صماء في كل من بدايته ونهايته. وكانت هذه النوافذ السبع مفتوحة ومغطاة بالمشبكات المعدنية في ايام عبد الملك، بدلاً من الواح القاشاني الحالية[٥٠] كما كانت الجدران مغطاة بالواح الرخام وبالفسيفساء من الخارج ومن الداخل، وكذلك كوشات العقود المزينة بالفسيفساء ذات اللون الازرق والاخضر والذهبي فوق ارضية مذهبة[٥١].

ابواب القبة:

ولقبة الصخرة اربعة ابواب مفتوحة في الاتجاهات الاربعة الرئيسة عرض كل منها ٥٥ر٢م وارتفاعه ٣٥ر٤م[٥٢] وهي: الباب القبلي في الجنوب وباب اسرافيل في الشرق، وباب الصور (البوق) في الشمال وباب النساء في الجنوب وعلى كل باب صفة مرخمة، ولكل مدخل بابان، احدهما داخل الاخر مصنوع من خشب ويتكون من مصراعين[٥٣]، الخارجي منها لوقاية الداخلي من الامطار والثلوج اربعة من هذه الابواب ارسلت بامر من ام الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ/٩٠٨ ـ ٩٣٢م)، وعليها زخارف جميلة وعلى مداخل الصفاف ايضا ابواب غير مزخرفة[٥٤].

ويظهر ان قياسات المداخل لم تتغير بخلاف الصفاف التي تتقدمها والتي يبدو انها كانت في الاصل على شكل قبو مغطى بسطح جملوني، قليل الارتفاع يستند على الواح خشبية ضخمة تحملها اعمدة[٥٥]. ولكل من هذه المداخل اعتاب خشبية مغلفة بصفائح النحاس والبرنز ذات زخارف بارزة يحتمل انها كانت مذهبة[٥٦].

ويقع المحراب الذي يصلى فيه والمنبر امام الصخرة، الى يمين لداخل من الباب القبلي في الجنوب[٥٧].

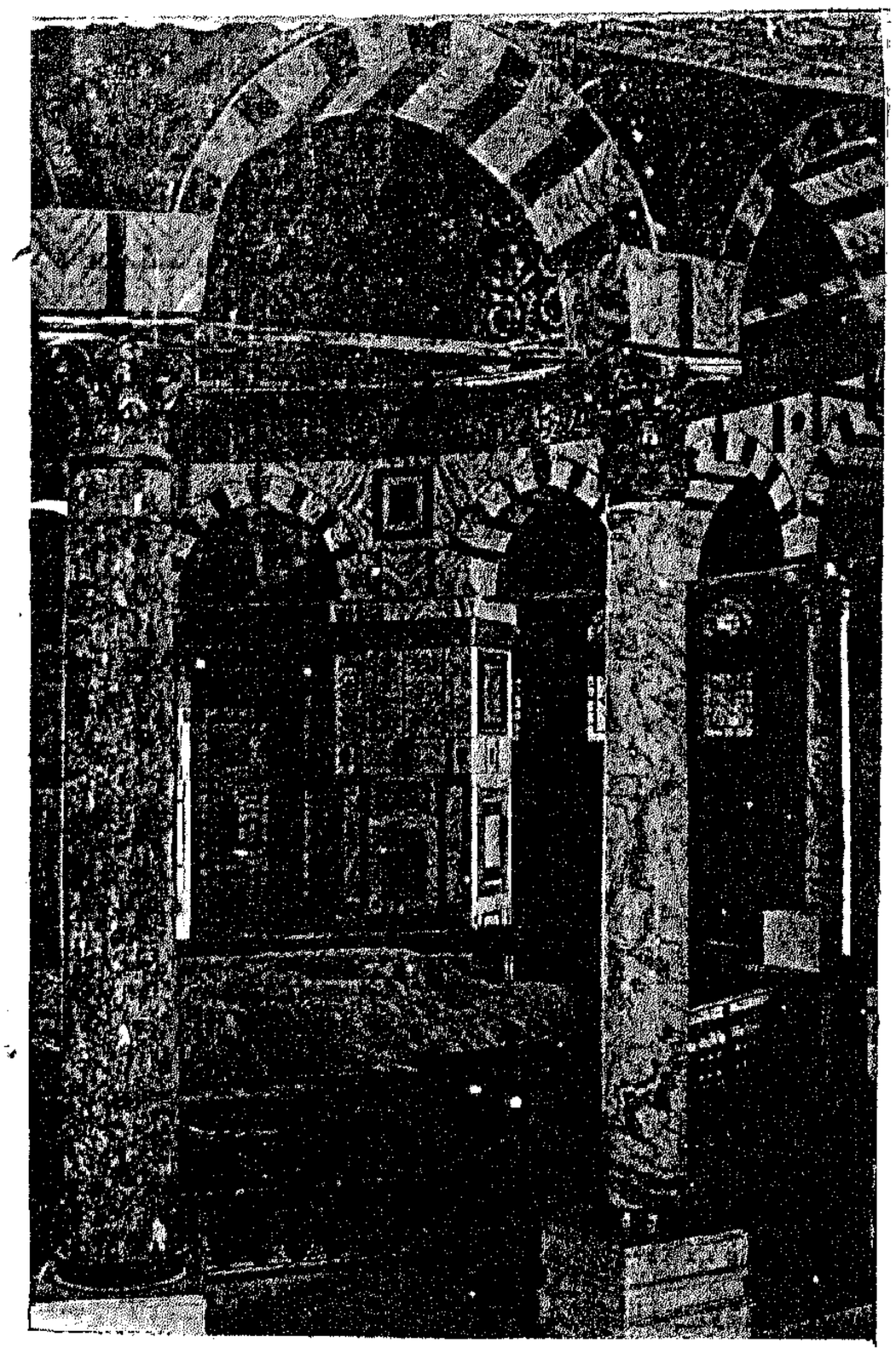

٣ـ قبة الصخرة من الداخل

الاروقة:

وداخل مسجد الصخرة يتكون من دائرة مركزية من الاعمدة والاكتاف: اربعة اكتاف واثنى عشر عموداً، موزعة ثلاثة اعمدة بين كل كتفين، تحمل فوقها تركيبة القبة. وبين الدائرة المركزية والجدران الخارجية لهذا البناء رواق سقفه محمول على ما تخطيطه مثمن من العقود المحمولة على اكتاف واعمدة: ثمانية اكتاف وستة عشر عموداً، موزعة زوجياً بين هذه الاكتاف ومكونة رواقين بين الصخرة والجدران الخارجية.

---

٥٠ . كنوز القدس ص٧٢، Cueswell, OP. cit I,p. 79; Duucan, P.28.

٥١ . العمري: مسالك ج١ص ١٤٠ ـ ١٤١، Cueswell, Op.cit. I,PP.98-

٥٢ . كنوز القدس ص٧٢ Cueswell, OP.cit. 1P.68.

٥٣ . ابن الفقيه ص ١٠٠.

٥٤ . المقدسي، ص١٦٩؛ العمري ج١ص ١٤٠ ـ ١٤٤، الحارف: تاريخ ص٢٩٣.

Jairazbhoy, An Outline, P124

55. Duncan, op. cit. p30; Jairazbhoy, op.cit, 1P. 123.

56. Jairazbhoy, op. cit. 1P. 124.

٥٧. العمري: مسالك ج١ص١٤٣

والاعمدة في هذه الاروقة متنوعة الطراز، ذات تيجان كورنثية ومركبة واطوالها متفاوتة مما يخلق صعوبة في ربطها مع الاكتاف بالروابط الخشبية الضخمة، وقد حلت هذه المشكلة برفع الاعمدة من اسفلها، واحاطتها من الاسفل بالواح رخامية ذات ابعاد متساوية، رتبت وسويت بطريقة تبدو للناظر وكأنها قواعد موحدة لكنها في حقيقتها محيطة بالجزء السفلي من بدن العمود، واخفت داخلها ذلك التفاوت[٥٨].

وتعلو الأعمدة والاكتاف حدارات تستند عليها روابط خشبية (بساتل) مغلفة بصفائح النحاس الاصفر[٥٩] ذات الزخارف الناتئة على ارضية سوداء، تمثل اوراق وحلزونات العنب، اضافة الى عناقيد العنب. وتعلو الروابط الخشبية العقود المغطاة بالزخارف الفسيفسائية الجميلة المذهبة والزرقاء والخضراء التي تتمثل بعناقيد العنب واشجار النخيل وكيزان الصنوبر، والفواكه والازهار التي تخرج من الانية . ويعلو العقود كتابات كوفية منفذة بالفسيفساء من زمن عبد الملك بن مروان[٦٠].

ومما يمتاز به تخطيط هذا المسجد، ان المهندس المخطط قد بنى الاعمدة والاكتاف باسلوب مدروس ودقيق، بحيث ان الداخل من اي من الابواب الاربعة، يستطيع ان يراها في الجانب البعيد، دون ان تحجزها تلك التي امامها، وذلك بعمل انحراف بسيط (twist) في روافع الدائرة المركزية بحوالي ثلاث درجات عن المثمن الاوسط، ولولا هذا الانحراف لحجز العمود او الكتف الامامي ذلك الذي يقابله في الجانب الاخر[٦١].

السقف:

والسقف الذي يغطي الاروقة سمكه بسيط، ومصنوع من الخشب، مغطى من اعلاه بصفائح الرصاص ومائل الى الخارج ميلانا بسيطا يسهل تصريف ماء المطر بواسطة ميازيب مفتوحة، في كل ضلع من اضلاع الستارة المحيطة به، وقد تعرض هذا

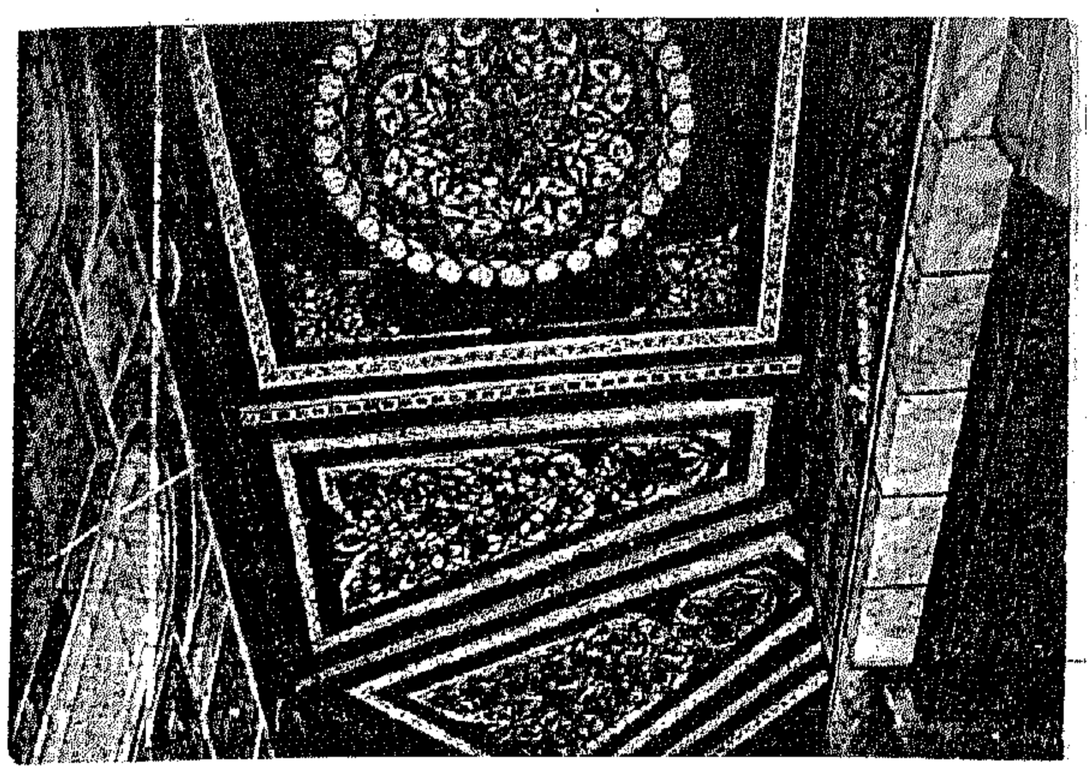

٤ ـ قبة الصخرة ـ سقف الرواق الخارجي

السقف لترميمات عديدة وغطي من الداخل بطبقة جصية، عليها زخارف جميلة، بعضها يذكر بزخارف خزف الاناضول. ويؤرخ سقف الرواق القريب من الجدران من زمن السلطان المملوكي الناصر محمد حوالي سنة ٧٢٨هـ ـ ١٣٢٧م. اما سقف الرواق الداخلي فيحتمل ان يكون بناؤه في القرن الثامن عشر الميلادي[٦٢]. ويؤدي الى سطح السقف درج ذو حاجز خشبي (درابزين) يقع في الجهة الشرقية من الرواق الخارجي[٦٣].

رقبة القبة

ويعلو الدائرة المركزية في هذا البناء رقبة القبة وقطرها ٢٠٫٤٤م وعمقها ٩٫٤م[٦٤] ومفتوح فيها ست عشرة نافذة يغطيها شمسيات من الزجاج الملون وعليها تواريخ واسماء مرمميها[٦٥] ويغطى المسافات بينها من اعلى ومن اسفل زخارف الفسيفساء المكونة من اوراق العنب وتفريعاتها وهي تخرج من مزهريات زخرفية، اضافة الى زخرفة الارابسك والنباتات الاخرى التي تتدلى من انية جميلة[٦٦]. وقد استبدلت الفسيفساء بالواح القاشاني في زمن السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٠هـ ـ ١٥٥٢م[٦٦].

---

58. Duncan, op, cit, p.30.

٥٩. العمري: مسالك ج١ص١٤١.

60. Duncan, op. cit p.30 Gautier- Vau Berchem, the mosaics pp. 211ff.
61. Creswell, op, cit. I,p.69.
62. Duncan, op.cit.p30.
63. Creswell, op.cit. Ip.93.
64. Duncan, op. cit. 1p.28, 32.
65. Cueswell, op. cit Ipp. 78, 79
66. Duncan P.32.
Jaivazbhoy, op. cit . p. 32.

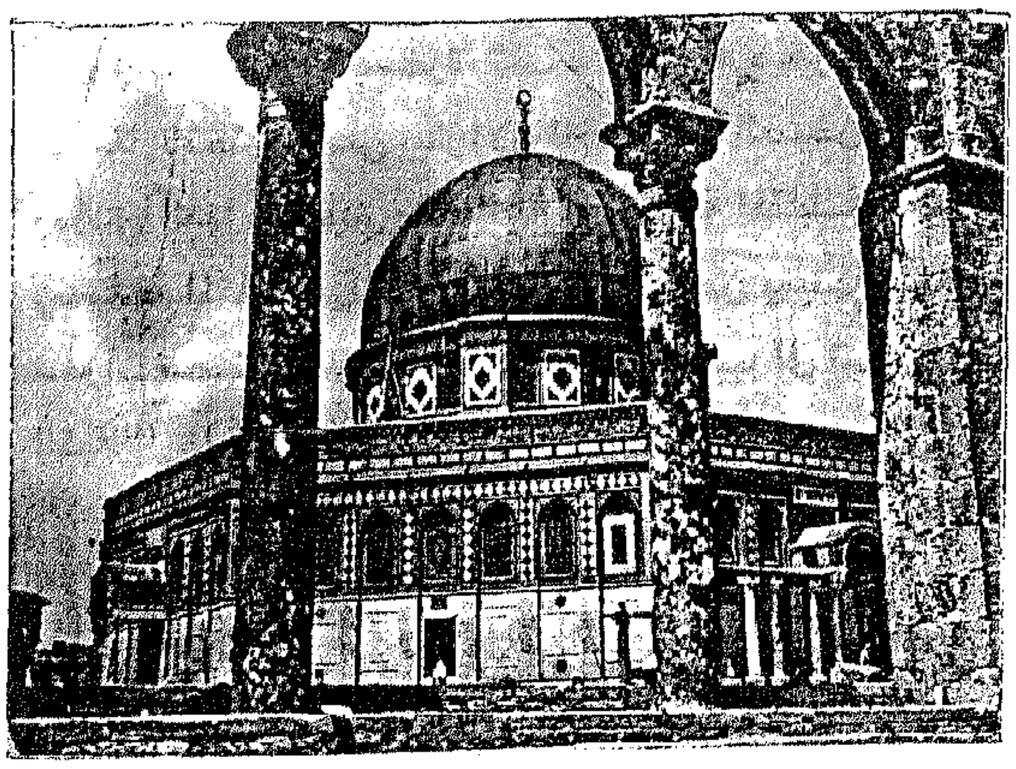

٥- مدخلان مع بائكة احد السلالم

القبة

ويعلو البناء قبة قطرها ٤٤ر٢٠م وتبعد قمتها عن الارض الحالية للمسجد ٣ر٣٥م[٦٧] والقبة الحالية ربما تعود الى سنة ٤١٣هـ ـ ١٠٢٢م[٦٨] وهي مؤلفة من طبقتين، لكل منهما هيكل خشبي منفصل عن الاخر بفراغ. وقد غطيت القبة الداخلية بطبقة من الجص عليها زخارف وكتابات مذهبة وبالالوان، بعضها غائرة ودقيقة يحتمل انها من زمن السلطان المملوكي الناصر محمد ٧١٨هـ ـ ١٣١٨م.

اما القبة الخارجية فقد كسيت بالصفر المذهب[٧٠] الذي استبدل بعد ذلك بصفائح الرصاص وغيره[٧١]. وبين القبتين سلالم واعمدة حديدية، وكتل خشبية لتثبيت القبة وتقويتها ضد العوامل الطبيعية والزلازل[٧٢]، وكذلك للتنقل عليها عند حاجة القبة الى ترميم. ويؤدي الى هذا الفراغ باب صغير مفتوح في انحناءة القبة الخارجية[٧٣].

وكان يعلو قمة القبة من الخارج سفود طويل[٧٤] يبدو انه استبدل بالهلال قبل غزو الصليبين لبيت المقدس والذي استبدلوه بالصليب الذي ازاله البطل صلاح الدين الايوبي واعاد الهلال الى موضعه[٧٥]. وفي عصر متأخر استبدل هلال القبة الذهبي بهلال من الالمنيوم في رأسه مانعة صواعق من البلاتين[٧٦].

ويتدلى من قمة القبة الداخلية سلسلة معدنية رئيسة، مع درة ثمينة اضافة الى قرنين ينسبان الى كبش ابراهيم الخليل، وانها حولت جميعا الى الكعبة في زمن العباسيين[٧٧]، ويحيط بالسلسلة الرئيسة اكثر من ١٥٠ سلسلة اخرى، تحمل قناديل الاضاءة[٧٨].

الصخرة والمغارة:

واكتسبت الصخرة التي اسفل القبة والتي يقال انها سقطت من السماء[٧٩] مكانة خاصة في العصر الاسلامي اذ يعتقد انها المكان الذي قدم عليه النبي ابرهيم عليه السلام ابنه اسماعيل قربانا لله عز وجل، ومن فوقها عرج بالنبي محمد (ص) الى السماء ليلة الاسراء[٨٠] كما روى عن هذه الصخرة وعن بيت المقدس احاديث نبوية كثيرة في فضلها وفضائلها ومكانتها الدينية[٨١].

والصخرة زرقاء اللون غير منتظمة الشكل، فهي ليست مدورة ولا مربعة لكنها الى الاستدارة اقرب. طولها من الشمال الى الجنوب ٧٠ر١٧م وعرضها من الشرق الى الغرب ٥٠ر١٣م وارتفاعها عن الارض يتراوح بين المتر والمترين[٨٢] وعلى طرفها المواجه للقبلة ما يوحي للمشاهد بطبعات اقدام انسان سار على الصخرة، فترك عليها اثرا كما لو كانت الصخرة من مادة رخوة[٨٣].

---

٦٧. كنوز القدس ص٢٧، ٧١.
Creswell, op. cit I,P. 93;

68. Rogers, op. cit. 1P. 124.

٦٩. العابدي: الاثار الاسلامية ص٩٥، العارف: تاريخ القدس ص٢٩١.
Jairazbhay, op. cit. 1P.32, Duncan, op. cit. P.32.

٧٠. المقدسي ص ١٧٠، الحميري: الروض المعطار ص٦٩.

٧١. العمري: مسالك ج١ ص١٤٢؛ العابدي؛ نفس المصدر ص٩١ ـ ٩٢؛ العارف: تاريخ القدس ص٢٩١؛ وحول ترميمات القبة انظر Cueswell, op. cit. IP. 97.

٧٢. المقدسي ص ١٧٠.

73. Cveswell, op. cit, Ip 93, Rivoiva, Moslem Auch. PP 11.13.

٧٤. المقدس ص ١٧٠.

٧٥. البدليسي: شرفنامة ص٦٣؛ مجير الدين: الانس ج١ ص٣٣٩.

٧٦. العابدي: نفس المصدر ص١٠٧.

٧٧. مجير الدين: الانس ج١ ص٢٧٥.

٧٨. نفس المصدر السابق ص٢٨٠.

٧٩. نفس المصدر السابق ص٢٣٥.

٨٠. مجير الدين: الانس ج ١ ٢٣٦، ٢٥٦ ـ ٢٥٧؛ العارف: تاريخ ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

٨١. ابن الفقيه ص٩٣ وما بعدها، ابن الجوزي: فضائل القدس ١٣٩ ـ ١٤٢، مجير الدين. نفس المصدر ص٢٥٦ ـ ٢٥٧، الاعظمي: تاريخ مدينة القدس ص٨٧ ـ ٩٣.

٨٢. العارف: تاريخ ص٢٩١، كنوز القدس ص٧٢ زايد القدس ص ١٩٠ الاعظمي: نفس المصدر ص١٠١، الحميري: الروض ص٥٥٧.

٨٣. قيل بان هذا الاثر هو طبعة قدم النبي ص (العمري: مسالك ج١ص١٤٢، سفرنامة ص٦٦ ـ ٦٧، الخياري ج٢ص١٧٧، ١٧٩) كما قيل بانها طبعات اصابع جبريل عليه السلام الذي دفع الصخرة عندما ارتفعت وراء النبي (ص) اثناء المعراج (سفرنامة ص٦٨، Lestraage P.136) وقيل ايضا في ايام الاحتلال الصليبي بانها طبعة قدم السيد المسيح (زايد : القدس ص٢٠٢ Le Strange, p136). وهناك روايات عديدة حول تحرك الصخرة وراء النبي (ص) اثناء المعراج وانه بسطيده الشريفة اليها لتبقى في مكانها (زايد: القدس ص ٢٠٠، Le Strang, P.136).

وفي وسط هذه الصخرة، ثقب دائري قطره حوالي المتر ينفذ الى مغارة تحتها تسمى «بئر الارواح» صارت الصخرة سقفا لها، ويؤدي اليها باب ودرجات قليلة في الجهة المقابلة للمحراب. ومساحة المغارة حوالي ٥ × ٧م والى كل من يمينها ويسارها محراب مصنوع من الرخام احدهما ينسب الى تاريخ بناء القبة[٨٤]

الدرابزين:

واحيطت الصخرة داخل المسجد في زمن عبد الملك بحاجز من الساسم يليه ستور الديباج مرخاة بين العمد، اضيف اليه حاجز حجري (درابزين) في العصور التالية[٨٦] استبدل بمشبك حديدي بعد ذلك[٨٧].

اصالة تخطيط قبة الصخرة:

يعتقد كثير من مؤرخي الفنون والعمارة الاسلامية، ان تخطيط قبة الصخرة وزخارفها ما هي إلا اقتباس حرفي لتخطيط وزخارف كنائس وابنية كانت في بلاد الشام وفي غيرها، قبل تحرير العرب المسلمين لهذه البلاد، وحللوا اجزاءها العمارية والزخرفية ونسبوا كل جزء منها الى قطر معين، او بناء او طراز معين، وتوصلوا الى انها سورية بيزنطية رومانية وبنسب مئوية متفاوتة[٨٨].

والحقيقة ان مثل هذا التحليل والتقسيم، غير مقبول اصلاً في مثل هذه الدراسات، فبالرغم من ان التخطيط المثمن محلي سابق للتحرير العربي الاسلامي لهذه المنطقة، الا اننا نعلم بديهة ان طبيعة الفنون واحدة بصورة عامة، كل فن يأخذ من الفنون التي سبقته، ثم يصوغها الفن الجديد حسب ما تمليه عليه الظروف السياسية والحضارية والاتجاهات الفنية، ويجب علينا عند دراسة قبة الصخرة ان نبحثها بجملتها وتفصيلها، فهي بناء عربي اسلامي في زخارفه وفي تفصيلات اجزائه، بني باشراف عرب مسلمين وباسلوب يتلاءم وذوقهم، ولا يتعارض مع مبادئهم ودينهم وانه بناء فريد انشيء لتخليد ذكرى الصخرة المقدسة والمحافظة على مكانتها الدينية وحمايتها من عبث الطبيعة والانسان. وماذا يعنينا هنا اذا كان قد اشترك في بنائها معماريون من غير العرب ما دامت النتيجة التي امامنا عملاً رائعا، يتحدث عن العروبة والاسلام باجلى بيان؟

فشكلها المثمن ببساطته وفي تناسق اجزائه يتلاءم كل الملاءمة مع هذا الغرض، ولا يتلاءم مع بناء المساجد عموماً التي تعتمد نظام الصفوف الطويلة المتصلة في الصلاة، ولذلك نرى ان هذا التخطيط لم يتكرر في بناء المساجد. ورغم اقبال المسلمين على تشييد ابنية مثمنة الشكل بعد ذلك، الا انهم اقتصروا عليه في بناء الاضرحة والمشاهد. كما انتقل تأثير التخطيط المثمن لهذه القبة الى اقسام كثيرة من العالم المسيحي واستخدموه في بناء كنائسهم[٨٩].

وقبل ان نختتم بحثنا هذا نستعرض اهم الظروف التي اثرت في بنائها. فقد تأثر بناء قبة الصخرة بالزلازل والحروب والحرائق وغيرها، من الاحداث منذ بنائها، وحتى يومنا هذا اذ اصلحت مرات عديدة خلال تأريخها الطويل ابتداءا من العصر الاموي[٩٠].

وتعرضت القدس الى زلازل رهيبة خاصة في سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م سقطت على اثرها القبة التي على الصخرة[٩١]. كما تعرضت الى زلازل اخرى ضعضعت كيانها بعد ترميمها[٩٢] مما دعا الى اعادة صيانتها واهتمام الفاطميين بها، وخاصة في زمن الظاهر لاعزاز دين الله سنة ٤١٣هـ ـ ١٠٢٢م وسنة ٤١٨هـ / ١٠٢٧م[٩٣].

وبعد احتلال الصليبيين لبيت المقدس سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م حولوا قبة الصخرة الى كنيسة باسم «هيكل السيد العظيم» واطلقوا على انفسهم. «فرسان الهيكل» وبنوا على الصخرة

---

84. Cveswell op cit p.65; Duncan op, cit p.28.

ابن الفقيه ص ١٠٠ ـ ١٠١، الحميري، الروض ص٥٥٧، العمري: مسالك ج١ص١٤٣.

٨٥ . فجير الدين: الانس ج١ص٢٧٤.

٨٦. سفرنامة ص٦٧.

٨٧. العمري: مسالك ج١ص١٤٢ الخياري: تحفة الادباء ج٢ص١٧٧، زايد: القدس ص٢٠١، بشير ابن بطوطة ج١ص٣٤ (الى الحاجز الحديدي يلي الصخرة مباشرة ثم يليه الحاجز الخشبي (الدرابزين).

88. Cueswell, op cit I, pp 101 - 123

89. Duncan, op cit. p.52.

٩٠ . العارف: تاريخ القدس ص٢٨٩، زايد القدس ص١٩٤.

٩١. ابن الاثير: الكامل ج ٩ ص٢٩٥، ابن كثير: البداية ج١٢ ص٥. مجير الدين: الانس ج١ ص٣٠٤.

٩٢ . ابن الاثير: الكامل ج١٠ ص٥٧، مجير الدين: الانس ج١ص٣٠٤. كنوز القدس ص ٣٠.

٩٣. زايد: القدس ص١٩٤، العارف: تاريخ ص٢٨٩.

Rogers, p.124; Jairazbhoy, op, cit p.32 Le Stvange, op cit, p.125.

مذبحا وقطعوا في ناحية منها عدة درجات، وانشأوا حولها الحاجز المصنوع من الحديد المشبك[٩٤] وفرشوا الرخام فوق الصخرة[٩٥] وجعلوا فيها الصور والتماثيل[٩٦] كما استبدلوا الهلال الذي كان يعلو القبة بالصليب[٩٧].

وعندما طرد السلطان صلاح الدين الايوبي الصليبيين من بيت المقدس في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/١١٨٧م وجه عنايته الى قبة المسجد الاقصى والى قبة الصخرة فازال معالم الكنيسة التي استحدثوها ورفع المذبح، ومحا الرسوم والتماثيل المضافة، وستر الجدران بالرخام وزين القبة من الداخل بالنقوش[٩٨]، إلا انه لم يتعرض للحاجز الحديدي الذي اضافوه[٩٩]، وسجل عمله هذا وتاريخه سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م داخل رقبة القبة بهيئة اشرطة كتابية جميلة لا زالت في مكانها[١٠٠].

وللمماليك الذين حكموا مصر وبلاد الشام ٦٦٩هـ ـ ١٢٧٠م/ ٨٧٢هـ ـ ١٤٦٧م اليد الطولى في عمارة المسجد الاقصى وقبة الصخرة، ووجهوا عناية خاصة الى زخارف القبة وسقوفها وابوابها[١٠١].

اما العثمانيون ٩٤٩هـ ـ ١٥٤٢م / ١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م) فقد عنوا بكسوة جدرانها بالقاشاني، ورمموا وزخرفوا بعض النوافذ والابواب فيها[١٠٢].

واستمرت العناية بهذه القبة من قبل الهيئات والحكام حتى الوقت الحاضر[١٠٣] ونرى تواريخ الكتابات المختلفة فوق جدرانها تتفق تماما مع ما ذكره الكتاب والمؤرخون العرب الذين عنوا بوصف هذه القبة. ورغم ما جرى على هذا الاثر من اصلاحات وترميمات، الا ان التخطيط المثمن وترتيب الاعمدة والدعائم لم يتغير، وكذلك الحال بالنسبة الى الفتحات والنوافذ. وبقى هذا الاثر يحكى قصة البداية العظمى لفن العمارة العربية الاسلامية عموما.

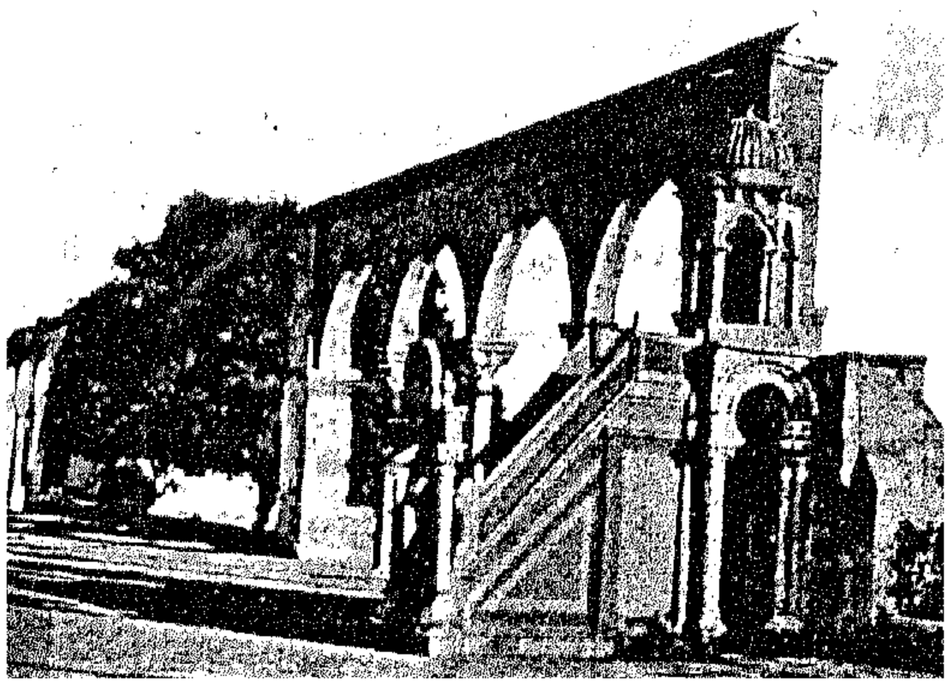

٦ - بوائك احد السلالم المؤدية الى المسطبة ا

المراجع

١. ابن الاثير (عز الدين الشيباني). الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٦٥).
٢. ابن بطوطة (ابو عبدالله محمد).
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (القاهرة ١٩٣٨).
٣. ابن الجوزي (ابو الفرج عبد الرحمن).
فضائل القدس (بيروت ١٩٧٩).
٤. ابن الفقيه (ابو بكر احمد).
مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢).
٥. ابن كثير (عماد الدين اسماعيل).
البداية والنهاية (بيروت والرياض ١٩٦٦).
٦. الاعظمي (عواد).
تاريخ مدينة القدس (بغداد ١٩٧٢).
٧. البدليسي (شرف خان).
شرفنامة ترجمة محمد علي عويش (١٩٥٨).
٨. البرغوتي (عمر الصالح) وطوطح (خليل).
تاريخ فلسطين (القدس ١٩٢٣).

٩٤. بقي هذا الحاجز حتى سنة ١٩٦٠ حين نقل الى متحف القدس.
Duncan op. cit 1p. 50.

٩٥. يقال ان قساوستهم كانوا يقتطعون اجزاء من الصخرة، ويبيعونها الى الفرنج الزائرين بما يعادل وزنها ذهبا فخوفا عليها من الفناء فرشوا فوقها الرخام. ابن الاثير: الكامل ج١١ ص٥٥٢، مجير الدين ج١ص٣٣٩ زايد: القدس ص٢٠١ ـ ٢٠٢، Duncan, op cit p.50.

٩٦. ابن الاثير، الكامل ج١٠ ص٢٨٤، ج١١ ص٢٥٢، العارف: تاريخ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠ مجير الدين ج١ص٣٣٩، زاير: القدس ص٢٠٠ Duncan p.50.

97. Dun can op. cit p. 50.

٩٨. ابن الاثير: الكامل ج١١ ص٣٦٠، ٥٥٢، مجيد الدين ج١ ص٣٨٤ محمد: المسجد الاقصى ١٤٤ ـ ١٤٦، Le Stuange p.113.

99. Duncan op. cit p.56.

١٠٠. زايد القدس ص٢٠٢ Duncan p.56.

١٠١. زايد القدس ص ٢٠٢، ٢٠٤ العارف: تاريخ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.
Duncan p.60; Jairazbhoy, p.32.

١٠٢. زايد القدس ص٢٠٥، العارف: تاريخ ص٢٩٠ ـ ٢٩١؛ الخياري: نفس المصدر ج٢ ص١٧٦، Blunt, Splendaurs of Islumy 19 Duncan 1PP. 64, 66; Jaira zbhog, p.32.

١٠٣. زايد القدس ص٢٠٥ ـ ٢٠٦، العارف: تلويخ ص٢٩١.
Duncan pp. 68ff.

* انظر آخر المراجع رقم ٤٣ ـ ٤٤
٩. حتي (فيليب).
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ـ ترجمة اليازجي (بيروت ١٩٥٩).
١٠ . الحميري (محمد بن عبد المنعم).
الروض المعطار في خبر الاقطار (بيروت ١٩٧٥).
١١ . الخياري (ابراهيم بن عبد الرحمن).
تحفة الادباء وسلوة الغرباء ج٢ (بغداد ١٩٧٩).
١٢. دائرة السياحة الاردنية.
الاردن حقائق ومعلومات (١٩٥٧).
١٣. زايد (عبد الحميد).
القدس الخالدة (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤).
١٤. شيخ الربوة (شمس الدين الانصاري).
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك ١٩٢٣).
١٥. الظاهري (غرس الديك خليل).
زبدة كشف الممالك ربيان الطرق والمسالك (باريس ١٨٩٤)
١٦. الطبري (محمد بن جرير).
تاريخ الرسل والملوك (ليدن ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥).
١٧. العابدي (محمود).
الاثار الاسلامية في فلسطين والاردن (عمان ١٩٧٣).
١٨. العارف (عارف باشا).
تاريخ القدس (دار المعارف بمصر ١٩٥١).
١٩. عبد العزيز (محمد الحسيني).
دراسات في العمارة والفنون الاسلامية (الكويت).
٢٠. العمري (ابن فضل الله).
مسالك الابصار في ممالك الامصار ج١ (القاهرة ١٩٢٤).
٢١. لوبون (غوستاف).
حضارة العرب ـ ترجمة عادل زعيتر (١٩٦٤).
٢٢ . مجير الدين (ابو اليمن).
الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج١ (النجف ١٩٦٨).
٢٣. محمد (غازي رجب).
«المسجد الاقصى بالحرم الشريف ببيت المقدس» مجلة سومر م٢٨ ١٩٧٢.
٢٤. المقدسي (شمس الدين البشاري).
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (بريل ١٩٠٦).
٢٥. ناصر خسرو.
سفرنامة ـ ترجمة يحيى الخشاب (بيروت ١٩٧٠).
٢٦. نجم (رائف) واخرون.
كنوز القدس (ايطاليا/ ميلانو ١٩٨٣).
٢٧. النويري (شهاب الدين احمد).
* نهاية الارب في فنون الادب (القاهرة ١٩٢٢ ـ ١٩٥٥).
٢٨. اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب).
البلدان (بربن ١٨٦٠).
٢٩. اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب).
تاريخ اليعقوبي (بيروت ١٩٦٠).

30. Arcutfus.
«The pilgvimage of Arcutfus in the Holy land» P.P.T.S. (1889).
31. Blunt w.
Splendours of Islam, London 1976.
32. Briggs, M.S.
Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine oxford 1924.
33. Cueswell, K. A. C.
Early Muslim Architecture, oxford 1969.
34. Duncan A.
The Noble Sanctuary, London 1972.
35. Gautier- Van Berchem M.
«the Mosaics of the Dome of the Rock in Jeru. Salem ... » in Cueswell, E.M.A. I, PP. 211 ff.
36. Jairazbhoy, R. A.
An outline of Islamic Architecture, Bombay 1972.
37. Keny on, K. M.
Jerusalem , Excavating 3000 years of History, 1969.
38. Le Strange, G.
Palestine under the Moslems, Beirut 1965.
39. Randall, R.
Jordan and the Holy land, london 1968.
40. Rivoira G.T.
Moslem Architecture, Edinburgh 1918.
41. Rogers, M.
The Spread of Islam, Oxford 1976.

٤٢. جاسر (شفيق احمد محمود).
«الفتح العمري للقدس» مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عدد ٦١ سنة ١٤٠٤ هـ.
٤٣. جاسر (شفيق احمد محمود).
«العهدة العمرية» مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عدد ٦٢/ ١٤٠٤هـ.
٤٤. الواقدي (ابو محمد عبدالله بن عمر).
فتوح الشام (عمان ١٩٧٥).